



دلالات الدم ومعانيه في نظم المعتقدات: دراسة أنثروبولوجية في مجتمعات تَقْوِي جبال النوبة – السودان

عثمان محمد عثمان علي

osmanmohamedosman@yahoo.comكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، جامعة
الخرطوم، الخرطوم، السودان

تاريخ الوصول: 2026.01.28 – تاريخ الموافقة: 2026.05.10 – تاريخ النشر: 2026.06.01

الكلمات المفتاحية:

الدم، الرمز، النجاسة، الطهارة، الطقوس،
الأرواح، تَقْوِي.

الملخص

تسعى هذه المقالة، بالاستفادة من مقارنة تبرز التفسيرية-النبوية، إلى فهم رمزية الدم عند تَقْوِي جبال النوبة السودانية. وتبحث فيما إذا كانت هذه الرمزية نتاج نسق كوني أم تحولات اجتماعية وثقافية، وكيف تتجلى في الطقوس، وما وظائفها وارتباطاتها بظروف الحياة، وكيف تُجسّد مفاهيم ربما تكون متكاملة أو متعارضة.

تستند المقالة إلى منهج تعددي يجمع بين السرد النوعي والتأريخ ودراسة الحالة. وتجرى التحليلات فيها على مستويين: ميداني ونظري. شمل المستوى الميداني مقابلات جماعية وفردية مفتوحة وغير منظمّة، أُجريت في مواقع وأوقات مختلفة، بمشاركة ذكور وإناث من فئات اجتماعية متنوّعة داخل قبيلة تَقْوِي. أما المستوى النظري، فقد جمع بين الدراسات الأكاديمية التأسيسية والمعاصرة، من الروايات الانثوجرافية المبكرة وأعمال الأنثروبولوجيا الرمزية الكلاسيكية إلى الدراسات الحديثة حول رمزية الطقوس.

تُفيد النتائج بأن للدم في ثقافة تَقْوِي حمولة رمزية تتولّد من التقاء الكوني بالاجتماعي-التقائي؛ فهو حلقة وصل بين المادي والروحي، ورمز للقربية والمكانة، ومُنظّم للأدوار وللتوازن الجسدي-الروحي وللاتنقال بين الأطوار الاجتماعية. ويتبدّى ذلك في الممارسات الطقوسية، مثل استدعاء الأرواح واسترضائها، والتدخّلات العلاجية، وطقوس العبور كالولادة والختان، وطقوس الحماية في النفاس، وحالات مشابهاة. يؤدّي الدم وظائف تضم الصحة والطاقة الجسدية والانتماء والمكانة والحماية، ويعكس ثنائيات مثل الطهارة/النجاسة، والأمان/الخطر، والحياة/الموت، والداخل/الخارج في سياق ظروف حياتية هشّة.

Blood Connotations and Meanings in Belief Systems: An Anthropological Study in the Tagoi Communities of the Nuba Mountains—Sudan

Osman Mohamed Osman Ali

Faculty of Economic and Social Studies, University of Khartoum, Sudan

Abstract

Using Turner's interpretive-structural approach, this article examines blood symbolism among the Tagoi of Sudan's Nuba Mountains. It investigates whether this symbolism derives from a cosmic order or socio-cultural shifts, how it manifests in rituals, how it functions in everyday experiences, and how it articulates opposing concepts.

The article employs a pluralistic methodology integrating narrative qualitative, historical, and case study methods. Analyses operate at two levels: field and theoretical. The field level included open, unstructured group and individual interviews, conducted across locations and times, involving Tagoi men and women from different social strata. The theoretical level synthesised foundational and contemporary scholarship, from early ethnographic accounts and classical symbolic works in anthropology to recent studies on ritual symbolism.

Findings reveal that, in Tagoi culture, blood reflects symbolism at the nexus of cosmic and socio-cultural realms. It mediates material and spiritual domains, signalling kinship and status, organising roles, sustaining body-spirit balance, and marking social transitions. This is expressed through rituals, like: spirit invocation, therapeutic interventions, rites of passage as in birth and circumcision, protective childbirth rituals, and similar events. Blood performs functions spanning health, vitality, belonging, status, and protection. It embodies dualities like purity/impurity, safety/danger, life/death, and insider/outsider amid fragile living conditions.

Keywords

blood,
symbol,
(im)purity,
rituals,
spirits,
Tagoi.

والمسيحية والإسلام) تتسع دائرة الطقوس والمحرّمات المتعلّقة بالدم،
بما يعكس عالمية رمزيته. مع ذلك، لا تتوفر تقارير شاملة تُبيّن تعدّد
دلالاته عبر الأزمنة والثقافات. عمومًا، يُنظر إلى الدم بوصفه متعدّد
الدلالات وملتبسًا، فهو قد يدلّ مثلًا على الخصوبة والتجدّد

تشهد آثار ما قبل التاريخ في أنحاء مختلفة من العالم على حضور
مبكر لصور مرتبطة بالدم، واستمرار الرموز والطقوس المتمحورة حوله
حتى العصر الحديث. وفي الديانات التوحيدية (مثل اليهودية

1. المقدمة:

الأزمات الحياتية. وتمثل الطقوس سلاسل زمنية من أفعال رمزية تُصنّف إلى رموز مهيمنة تُعد غايات في ذاتها، وأخرى أداتية تؤدي وظائف محددة. ويؤكد تيرنر أن فهم الرموز يقتضي تحليل السياق الشامل للظروف التي تستدعي إقامة الطقوس، وتحديد نوعها ومقاصدها، وتسهم في الكشف عن دلالاتها. كما يتطلب التحليل فحص الرموز ضمن سياق الأداء الطقوسي نفسه، إلى جانب ملاحظة السلوك الموجّه نحو كل رمز بوصفه عنصرًا مُكوّنًا لمعناه الكلي (Turner, 1967, p. 45).

تتمحور المشكلة البحثية لهذه المقالة، ضمن مقارنة تيرنر التفسيرية-البنوية، حول فهم دلالات الدم في أحد المجتمعات الأفريقية (قبيلة تَقُوِي) كعنصر يتجاوز معناه البيولوجي ليعكس علاقة الإنسان بالطبيعة والمقدس ويؤدي دور الرمز الكوني. وهنا، تسعى المقالة إلى استكشاف الأبعاد الرمزية للدم عبر تحليل وظائفه الطقوسية والدينية والاجتماعية، وبيان آليات إنتاجه للمعنى، استنادًا إلى رؤية تيرنر التي تُعدّ الرمز عنصرًا ديناميًا فاعلًا في العملية الاجتماعية. ومن ثم تتحدّد المشكلة في تفسير كيفية تحوّل الدم وبدائله إلى بُنى مولّدة للمعنى تسهم في تشكيل الفعل الاجتماعي. وتتناول المقالة الشحنة أو الهالة الرمزية للدم عند تَقُوِي عبر معالجة أربعة أسئلة محورية، هي: هل تُعبّر رمزية الدم لدى تَقُوِي عن نسق فكري كوني أم أنها نتاج تحولات اجتماعية وثقافية؟ كيف تتجلى الرموز المرتبطة بالدم في الطقوس التنظيمية الضابطة والتكاملية الترميمية في مجتمعات تَقُوِي؟ ما الوظائف الاجتماعية لرمزية الدم وصلتها بالظروف الطبيعية والاجتماعية التي توطّر حياة تَقُوِي؟ كيف تُجسّد رمزية الدم مفاهيم قد تكون متكاملة أو متعارضة في ثقافة تَقُوِي؟

2. المنهجية والإجراءات العملية:

تستند هذه المقالة إلى دراسة ميدانية أنثروبولوجية متعدّدة المواضيع أُجريت بين تَقُوِي في الفترة من 2012 إلى 2017، وتعتمد على منهج تعددي يجمع بين السردية النوعية والتاريخية ودراسة الحالة. يلائم هذا المنهج الطبيعة المعقّدة للظاهرة المدروسة المنتشرة في العديد من المجتمعات، إذ يتيح فهمًا عميقًا لأبعادها المجتمعية ومسار تشكيلها وتحوّلها وما تتضمنه من معاني ودلالات، وذلك من خلال "دراسة حالة تَقُوِي".

فيما يتصل بزمنية البيانات الميدانية (حدائث أو تقادمًا)، يُحتمل أن إقليم جبال النوبة، الذي يعيش تَقُوِي في الجزء الشرقي منه، قد شهد

والشفاء، بينما يثير مخاوف عميقة متّصلة بالنجاسة والمرض والخطر. ودرءًا لمخاطره المتصوّرة، تحظر نصوص في الديانات التوحيدية استخدامه كغذاء، كما طوّرت مجتمعات عديدة عبر التاريخ ممارسات لتجنّبه وابعاده والتطهّر منه (Charbonneau & Tran, 2012, pp. 1-2, 5).

في سياق المجتمعات الأفريقية، ارتبط الدم تاريخيًا بالسلطة السياسية والأضاحي الرمزية، خاصة في الممالك الكبرى قبل الاستعمار الأوروبي، مثل الأشانتي وسوكوتو وداهومي في غرب أفريقيا، والكونغو ولوبا ولوندا في وسط أفريقيا، والزولو وسوتو في جنوب أفريقيا. كان دم الأضاحي في هذه الممالك رمزًا للولاء والقرابة، بينما كان يُستخدم أيضًا في الديّات لتعويض حالات الموت غير المشروعة. هذا يعكس معاني رمزية متعدّدة للدم، لكنه في الوقت ذاته يبرز بُعد الحيوي في العديد من الثقافات الأفريقية باعتباره جوهر الحياة. كما أن دلالاته تتغيّر وفقًا للسياق، سواء كان دمًا جاريًا في العروق أو مسفوكًا (White, 2021, pp. 95-97).

وفق المنظور التفسيري-البنوي ليفيكتور تيرنر، تُعتبر الثقافة نظامًا من الرموز يتيح للأفراد التواصل وإعادة إنتاج معارفهم ومواقفهم تجاه الوجود. يرى تيرنر أن دراسة رموز الطقوس تتطلب فحصها ضمن التسلسل الزمني للأحداث الاجتماعية، إذ تُشكّل هذه الرموز جزءًا أساسيًا في العملية الاجتماعية. ويقول إنها تُنتج الفعل الاجتماعي وتوجّهه بوصفها محاور للتفاعل ومحفّزات للعاطفة، إذ تحتشد الجماعات حولها وتمارس عندها طقوسًا تُضيف إليها معاني جديدة. ويحدّد ثلاث خصائص للرموز: التكتيف، حيث تتجمّع أفعال وأشياء متعدّدة في تكوين رمزي واحد؛ وتوحيد المعاني عبر دمج دلالات مختلفة تشترك في صفات أو روابط واقعية وفكرية؛ ثم استقطاب المعاني، إذ يجمع الرمز بين قطب أيديولوجي يعكس البنية الاجتماعية والثقافية، وقطب حسي يستمد دلالاته من الظواهر المرتبطة بشكله الخارجي (Turner, 1967, pp. 20, 22, 28-30).

يُوضّح تيرنر منهجًا يتيح تحليل رموز الطقوس في سياق العمليات الاجتماعية الأوسع. وتندرج الطقوس في فئتين: طقوس تنظيمية تضبط الانحرافات عن السلوك المعياري مثل طقوس التطهير من النجاسة، وطقوس تكاملية تُهدف إلى ترميم الصراعات مثل طقوس

محدّدة— إلى موضوعات حساسة، مثل ختان الإناث، من منظور ثقافي-اجتماعي تحليلي، دون اتخاذ موقف تقوي. يستعرض القسم التالي من المقالة أربع دراسات اثنوجرافية تشمل مجتمعات اليوروبا والأفرو-برازيليين وبعض مجتمعات أفريقيا ما قبل التاريخ والبرّي في دارفور، بالإضافة إلى دراسة حول رمزية الدم في الأديان السماوية والفكرين الفلسفي والطبي القديمين. وهي دراسات متقاربة في محورها حول رمزية الدم. تنتقل المقالة بعدها لتقديم خلفية موجزة عن قبيلة تَقْوِي، قبل تحليل تمثّلات دم البشر والحيوانات وعلاقته بالطهارة والنجاسة والأرواح. كما تناول ممارسات إخراج "الدم الفاسد" (الذي يعني لدى تَقْوِي حالة النجاسة والندس والاتساخ والتلوث، بما تحمله من بقايا ضارّة ترتبط بالخطر والمرض) ودفنه في سياقات الختان والحيض والخطبة، إضافةً إلى تصوّرات الدم المرتبط بالولادة والأرواح الشريرة، وأساليب تقوية الدم وعلاج علله. وتختتم المقالة بعرض أبرز النتائج ومناقشتها، ثم الإجابة عن الأسئلة المحورية التي تشغل عليها.

3. دراسات سابقة حول رمزية الدم:

1.3 رمزية الدم والمعرة في أفريقيا قبل التاريخ:

كشفت واتس (Watts, 2024) عن تحوّل سلوكي بشري في أفريقيا منذ نحو 160 ألف عام، حيث استُخدمت المعرة الحمراء طقوسياً لدلالاتها على الدم، وباعتبارها رمزاً للحياة ووسيطاً دوائياً وخصوصياً. وتُوضع هذه الصبغة على الجسد عند المخاطر والانتقالات، لمنح الحماية، وتجسيد القوة، واستدعاء الحظ، والاتصال بالآلهة والأسلاف. ويعكس هذا الاستخدام معتقداً يربط دم الحيض بدم الصيد، كما تعكس القيود الطقوسية، التي تحظر على الرجال الصيد أثناء حيض القربيات، تصوّراً كونياً يجعل الدم محوراً للترابط بين البشر والحيوانات والأرواح. يدهن الرجال جباههم بدم حيوان أو بالمعرة قبل الصيد تعويضاً لأرواح الغابة عن دم الحيض. وفي بعض مجتمعات أفريقيا، تُنتج منظومات تربط خصوبة النساء بإنتاجية الرجال، إذ يُحظر على الحائضات ملامسة الأسلحة أو مرافقة الصيادين لاعتقادٍ بقدرته دم الحيض على تغيير الطرائد أو استجلاب الخطر.

إن ارتباط الاستخدام الجنائزي للمعرة الحمراء بفكرة الإحياء الرمزي، استناداً إلى تصوّر يعُدّ الدم تجسيداً للحياة، موثّق عالمياً منذ العصر الحجري القديم الأوسط (Wreschner, 1980, p. 633).

في السنوات الأخيرة بعض التغيّرات الاجتماعية والثقافية. إلا أن صعوبة إنجاز عمل ميداني حديث، جرّاء تردّي الأوضاع الأمنية ولا سيما في أعقاب نشوب الحرب الأهلية في السودان في أبريل 2023، فرضت اقتصار هذه المقالة على تقديم تحليل موثّق لمرحلة سابقة لهذه التغيّرات المحتملة (2012-2017)، بما يوفّر أساساً تحليلياً يُرتكز إليه في تفسير مسارات التغيّر اللاحقة مستقبلاً.

تُجرى التحليلات على مستويين: ميداني ونظري. شمل المستوى الميداني نحو مئة جلسة مقابلة جماعية وعدداً مائلاً من المقابلات الفردية المفتوحة وغير المنظّمة، أُجريت في مواقع وأوقات مختلفة شملت الخرطوم وأم درمان والفيض ورشاد، بمشاركة ذكور وإناث من فئات اجتماعية متنوّعة من قبيلة تَقْوِي. كان معظم المشاركين من متوسّطي وكبار السن الذين وُلدوا ونشأوا في مناطق تَقْوِي بجمال النوبة. تراوح عدد المشاركين في الجلسات الجماعية بين أربعة وعشرة أشخاص، مع تغيّر الحضور من جلسة إلى أخرى. وجرى انتقاء المشاركين في كل جلسة وفق اختبار قصدي قوامه مدى إلمامهم بالسياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية المحلية، إضافةً إلى عمق معرفتهم بالظواهر موضوع الدراسة، وتمّ ذلك بمساعدة أفراد القبيلة. أما المستوى النظري، فقد جمع بين الدراسات الأكاديمية التأسيسية والمعاصرة، من الروايات الاثنوجرافية المبكرة وأعمال الأثروبولوجيا الرمزية الكلاسيكية إلى الدراسات الحديثة، ضمن سياقات جغرافية تتركّز في السودان مع امتدادات إلى وسط وغرب أفريقيا والشتات الأفرو-برازيلي. وتبحث هذه الأعمال في الدين والأنظمة الطقوسية، مع إبراز الأهمية الكونية لرمزية الدم، بما يتيح فهمًا معمّقا لبنية الفكر الكوني في مثل هذه المجتمعات الأفريقية.

طلب ملك قبيلة تَقْوِي وعددٌ من النخبة المتعلّمة من مُعد المقالة توثيق تاريخهم وتراثهم، انطلاقاً من مخاوفهم من فقدان المعارف المحلية نتيجة نزاعات ونزوح جماعي من موطنهم. ورغم أن المبادرة حملت دوافعاً أخلاقية مشروعة، استلزمت النزاهة البحثية تمثيلاً مجتمعيًا واسعاً لتفادي هيمنة روايات النخبة، وتحقيق استقلالية المشاركين، بجانب الحصول على موافقة طوعية من أفراد القبيلة دون أي ضغط من القيادة. لقد عززت مراعاة هذا الجانب الأخلاقي دقة ومصداقية عملية جمع البيانات. كما أتاح موقع مُعد المقالة، بوصفه من خارج مجتمع تَقْوِي، مسافة تحليلية سمحت له بقراءة نقدية للمعطيات دون ارتكان للتصوّرات المحلية. فضلاً عن ذلك، تتطرّق المقالة—في مواضع

بترسيخ هذه المفاهيم، وبتوعية بناتهن بالجسد والحيض والأنوثة. عند أول دورة شهرية للفتاة، تدبج الأم ديكًا احتفالًا بقداسة الدم وارتباطه بالخصوبة. وفي الولادة، يُسمى المولود "أجا أوران" (دم السماء)، تعبيرًا عن هشاشته وصلته بأمه، كما أن دم الولادة يُعدُّ غشاءً فاصلًا بين المولود والعالم.

يُبرز الدم كجوهر للحياة والتكاثر؛ فانتظام الحيض يدل على الخصوبة، وغيابه على الحمل، وعودته على تجدد القدرة الإنجابية. ويُنظر إلى دم الحيض كحامل لإمكانات متضادة؛ مبدعًا حين يمتزج بالحيوانات المنوية فينتج الحياة، ومدمّرًا حين يُهدر خارج هذا السياق.

تجسّد طقوس قرابين الدم لدى اليوروبا قداسته بوصفه أسمى أشكال الأضحية والتواصل مع الآلهة. ويغدو الدم محورًا في طقوس الشفاء عبر الفصد والختان والوسم والثقب، حيث تُحقن الأعشاب في الجروح لتصل إلى مجرى الدم وتنشّط الحياة، انسجامًا مع اعتقادهم بأن الحياة تكمن في الدم. ويُنظر إليه كقوة تطهيرية تطرد المرض وتستعيد التوازن الجسدي والروحي، ما يجعل سفكه ممارسة علاجية.

3.3 بين الدم والروح: تفسير المرض في التقاليد الأفرو-برازيلية:

تُظهر دراسة ريبوس وزملائه (Rios, et al., 2011) الاستجابات الدينية الأفرو-برازيلية للإيدز، مركزة على مفهوم الطاقة كقوة روحية تُنعش الحياة وترتبط بسوائل الجسد كالدم والعرق والمني. وتقوم المعتقدات الأفرو-برازيلية على أن الإنسان يولد مزودًا بطاقة مقدّسة تضمن وجوده، وتتأثر بحالته الجسدية وعلاقاته الاجتماعية وممارساته الطقوسية، ونقصانها أو تلوثها يُفضي إلى المرض وسوء الحظ، فيما تدل وفرتها على الحيوية.

تهدف الطقوس إلى تنظيم هذه الطاقة واستعادتها عبر استحضر القوى الروحية، ولا سيما في التكريس الذي تُوسم فيه مناطق من الجسد ليُنقذ إليها مواد محضرة وفق تعاليم المعبد، كما تُرش هذه الجروح—بوصفها قنوات ناقلة—بدم الأضاحي لنقل الطاقة من الجماعة الدينية إلى الفرد. في التكريس، يُحدّث الكاهن جروحًا بموس مشبع بطاقة المعبد يُستخدم للجميع—دون تعقيم—لتعزيز الانتماء واستمرار السلالة الروحية.

5.3 الدم والطهارة والنجاسة في ثقافة البرّي:

تُوضّح دراسة للاديسلاف هولّي (علي، 2013) أن الدم البشري عند البرّي بدارفور (غرب السودان) أخطر مصادر النجاسة جذبًا

ويقتضي فهم هذا الارتباط فهم الأفعال الرمزية من خلال آثارها الاجتماعية وبوصفها أنشطة جماعية (Rova, 2019, pp. 95, 97-99).

2.3 الطهارة في الأديان والفكر القديم:

يُبيّن بوبريك (2011)، استنادًا إلى نصوص في الإسلام واليهودية والمسيحية وبعض البُنى المناقبية عن وليّات من البلاد الإسلامية، أن الجسد يشكّل وسيطًا بين الروح البشرية والإله؛ فهو أداة للخلاص من الدنس وللولوج إلى عالم التقوى والترقي فيه. ومن هذا المنطلق، يستلزم التعبّد جسدًا منضبطًا يخضع لشروط الطهارة من المدنّسات، مثل دم الحيض والولادة. وتؤكد هذه النصوص أن الطهارة تحمل بُعدًا رمزيًا يتجاوز النظافة المادية، وتتجسّد آلياتها في ممارسات مثل الاغتسال والختان والعقاب الجسدي.

يُمثّل الجسد الأثوي—في النصوص الدينية التي يستند إليها بوبريك—الكيان الأكثر خضوعًا لشروط الطهارة. فبنية البيولوجية تُعدُّ مصدرًا للحالات تدنيس تستدعي ضبطًا صارمًا. وتضعه هذه النصوص في موقع أدنى روحيًا وأخلاقيًا نتيجة قابليته للنجاسة أو لِمَظَنَّة الفتنة. وتُعتبر خصائصه البيولوجية—مثل دم الحيض والاستحاضة وفض البكارة والنفاس—عوائق تحول دون بلوغ المرأة مرتبة القداسة. كما تدفع المجتمعات إلى إقصاء المرأة مؤقتًا عن بعض المجالات الدينية والحياتية، اتقاءً لما يُعتقد أنه قوى خفية يحملها دمها وقد تجرّ الأذى للأفراد أو البيئة.

يقول بوبريك إن هذا التأويل السلبي للدم الأثوي يتسع ليشمل الفكرين الفلسفي والطبي القديمين اللذين استندا إلى تمثّلات ثقافية واجتماعية تعتبر دم المرأة مرادفًا للذنس والمرض. واعتُبر الحيض آلية لتطهير الجسد من التلوث والبقايا الضارة، وبذلك يُصوّر دم الحيض كفضلة فاسدة ومُنسّخة يلفظها الجسد بوصفها عنصرًا مدنّسًا.

4.3 قدسية الدم عند اليوروبا:

يُبيّن برنارد (Bernard, 2020) أن الدم لدى اليوروبا بجنوب غرب نيجيريا يُعدُّ عنصرًا مقدّسًا. وهو يؤدّي أدوارًا في الإيمان والسحر والشفاء وطقوس العبور (كالزواج والولادة)، جامعًا معاني القداسة والفضيلة والحياة والخصوبة والموت والعهد والخطر والتطهير والانتماء.

يُجسّد الزواج من عذراء العفّة والاستعداد للأومومة، بينما يُعدُّ فقدان العذرية مؤشّرًا على انحلال أخلاقي وعُقم محتمل. وتقوم الأمهات

نفوذ ملوك ثقلي على الإشراف غير المباشر على تلك الممالك الصغيرة عبر تعيين حكامها، وفرض الجزية، وقمع التمرد أو العصيان. ومع الزمن نالت مملكتنا ثقوي ورشاد قدرًا متزايدًا من الاستقلال السياسي والإداري (Elles, 1935, pp. 4-10).

في خضم هذه التطورات تبرز روايات ثقوي الشفوية التي توضح نشأة قبيلتهم وصلتها بثقلي والفونج. ووفقًا لهذه الروايات، كان أجداد ثقوي جماعة عربية مسلمة من الفونج، نُفوا مطلع القرن الثامن عشر من إقليم النيل الأزرق إثر صراع على السلطة. وقادهم زعيمهم كوندان إلى جبال النوبة الشرقية، حيث اندمجوا مع السكان الأصليين بالمصاهرة والتفاعل، فتكوّنت قبيلة ثقوي التي يزيد عدد أفرادها حاليًا على 30,000 نسمة، موزعين على ست عشرة قرية، هي: الفيض أم عبد الله (الفيض)، وأمبير، وجبيلات، وتومة، وأبو الحسن، وقرود أبو زائدة، وأمرببيطة، والمنصور، والمقلّمات، وأبوكرشولة، والفرا، والجبلين، وطراوة، وكالوبا، وتقيك، وخور دليب (Ali, 2016, p. 5).

عقب وصول كوندان ومجموعته إلى جبال النوبة الشرقية، استقروا في منطقة "جبل ثقوي" وما حوله من سهول خصبة للزراعة والرعي. ورحل فصيل منهم يُسمى "سكارنجا" إلى جبال قدير، حيث أسس مملكة مستقلة. وفي الفترة ذاتها، انقسم المستوطنون في جبل ثقوي إلى ثلاث مجموعات: ثقوي الأساسيون، وتكوم، وترجوك. وبعد الانقسام، خضعت تكوم وترجوك لمملكة ثقلي، بينما حافظ ثقوي الأساسيون على استقلالهم (علي، 2021، الصفحات 42-45).

استند أسلوب حياة السكان الأصليين إلى معتقدات وممارسات محلية تُسمى "الأسبار". وعند استقرار الفونج، أدخلوا نمط حياة قائمًا على المبادئ الإسلامية. احتفظ السكان الأصليون بالسلطة الروحية—بفضل خبرتهم في الأسبار—حتى انتقلت تدريجيًا إلى حكام ثقوي أواخر القرن التاسع عشر. وبذلك، جمع ملوك ثقوي بين الزعامة السياسية والدينية، ودمجوا الأسبار بالدين الإسلامي (علي، 2021، الصفحات 47-53).

مجتمعات ثقوي زراعية تمنح الزراعية الأولية. والأراضي خارج تجمعات السكن والزراعة تُعد ملكًا مشتركًا لهذه المجتمعات، ويحق للجميع الانتفاع بها للرعي، والصيد، وجمع الأغذية البرية. وهناك قلة من ثقوي تمتن رعي الأبقار، كما يزال بعضهم طقّ لحاء أشجار

للشياطين، مما يستلزم دفنه لمنع انتشاره. كما يُشبه البرّي النجاسة بالوجود في "الخلاء" (فضاء الشياطين)، بخلاف الوجود في "القرية" (فضاء النظام والحماية).

يُعدّ الحيض عند البرّي علامة على نضج الفتاة للزواج، ونجاسة تمنع الجنس والعبادات وتعفي من الأعمال داخل البيت وخارجه. تُصنّف النساء ووليدها الأكثر عرضة لهجوم الشياطين لتلوّنهما بالدم. لحمايةهما، يُوضع حجر وسكين على فراشهما ويجلس شخص عليه عند غياب الأم. ويُعزل الأطفال بعد الختان ثلاثة أيام لنجاستهم، وتُغطى رؤوسهم بأقمشة بيضاء، وتوضع السيوف على أسرتهم، ويدهنون بالسمن والدقيق، مع حظر خروجهم إلا محميين. ويرى البرّي تماثلًا بين الولادة وختان الفتيات، ويُسمى الدم في الحالتين "دم الولادة" للدلالة على وحدته الطقوسية ونجاسته. وكذلك يُعتبر دم فض بكارة العروس نجسًا وجاذبًا للشياطين، ما يضع العروسين في خطر. لحماية العروسين والأطفال المختونين، تُقام زيارة لشجرة هجليج (*Balanites aegyptiaca* L) لاستخدام فروعها لتحويل نجاسة الدم إلى طهارة.

يعتبر البرّي ولادة التوائم مصدر نحس وجالبة للمصائب. لدرء شرها، تُقام طقوس—في لحظة الولادة—تشمل ذبح ذكرى ماعز أو كبشين، ونثر دمهما حول القرية. ويبقى التوأمان مع أمهما في البيت حتى موسم الحصاد التالي، إذ يُعدّ انقضاء الأمطار شرطًا لزوال الخطر. ومع بدء الحصاد تُقاد الأم وطفلها إلى الحقل، ويُمسح نبات دخن ثم هم (الأم وطفلها) باللبن والسمن، وتقطع الأم سنبلتين. وبعد ذلك، يذبح الرجال—مرة أخرى—ماعزين أو كبشين، ويُنثر دمه حول الحقول والقرية، ثم تُطلق للأم حرية التنقل مع توأميها. إذا ولدت المرأة أو أجهضت خارج قريتها أو بيتها، تُحبس في مكان الولادة أو الاجهاض، ويُنثر دم ماعز على الطريق عند نقلها منعًا للضرر. ترتبط الولادات والإجهاضات خارج القرية والبيت بخطر "دم الولادة"، وتُفهم الطقوس كآليات لتحويل هذا الخطر إلى خصوبة واستعادة التوازن عبر دم الأضاحي.

5 خلفية موجزة عن قبيلة ثقوي:

تُفيد الروايات الشفوية لقبيلة ثقلي بأن ملوكها بسطوا سلطتهم على معظم شرق جبال النوبة بحلول منتصف القرن السابع عشر. وبفضل علاقاتهم الودية بالفونج في إقليم النيل الأزرق، عيّنوا مهاجرين من الفونج ملوكًا تابعين على مناطق جبال ثقوي ورشاد وقدير. واقتصر

غدت الكائنات المطرودة روحية مميّزة في معتقدات تَقُوِي، وترتبط دموياً بعائلاتهم. ويمكن لأفراد هذه العائلات رؤيتها وتسخيرها نفعاً أو ضرراً عند العداوة، كما تبادر هي إلى نجاتهم عند الأزمات. وتوفّر العائلات خدمات الاستقبال الوُدي السخي للكائنات الروحية المتصلة بها، والتي تقوم بزيارتهم في الفرح أو الحزن. ويُعتاد عند ذبح الأضحية في المناسبات المختلفة أن يُخصّص جزء من لحمها بوصفه "كرامة" تُقدّم للكائنات الروحية، فيُوضع هذا الجزء على الجدار الخارجي لبيت الأسرة صاحبة المناسبة. كما يُعتقد مثلاً أن الكائنات الروحية قد تنبش قبر المتوفى لتأكل من لحمه، ثم تتجه إلى أكبر حيوان تملكه أسرته إذا لم يُقدّم لها نصيبها من لحم "الكرامة" في ختام المآتم. يروي أحد المخبرين أنه في قرية جبيلات عام 2011، ذبح رجل من جماعة النحل القرايية ثوراً كـ"كرامة" في اليوم الأخير لمآتم ابنته، فتوافدت أسراب نحل من أحد الجبال وشربت دم الثور المسفوح، ثم عادت إلى الجبل. ويُعتقد أن النحل بذلك أخذ نصيبه من الكرامة. تُظهر هذه الممارسات تجاه الكائنات الروحية رمزية للدم في طقوسٍ تكميلية ترميمية تتوافق مع توصيف تيرنر لوظائف الطقوس في المجتمعات.

يُجسّد تصنيف الكائنات الروحية في معتقدات تَقُوِي تراتبية الجماعات القرايية؛ فتتصدر جماعة النمر المكانة العليا لما يرمز إليه من شجاعة وقوة وشراسة وفروسية وذكاء وقدرة تحمّل وصبر وجرأة وعظمة وحكمة، ما منحها السلطة السياسية. يليها—في مكانتين متساويتين—جماعتا الثعبان والأسد، اللتين تمثّلان القوة والشجاعة والشراسة، ولكن بدرجة أقل من النمر. ثم جماعة النحل، التي ترمز للخير والعطاء، والنفع والخطر. بناءً على ذلك، يُختار مستشاري الملك من جماعات الثعبان والأسد والنحل. أما جماعة الجراد، فارتبطت بممارسات دينية محلية ضارة (الأسبار)، مما أكسبها سمعة سلبية شُبهت بأفة الجراد، ولذلك عُدت الأدنى مكانة. استقر تَقُوِي في جبلهم، إلا جماعة الجراد التي أقامت في جبل جراد الذي يُعتقد أنه كان منفى للمخالفين والمجرمين ومسببي النزاعات. ويتجلّى هذا التراتب الاجتماعي في بناء مساكن جبل تَقُوِي: القمة للملك، وتحتها أبناءؤه، ثم مستشاروه، فعامة الناس في الأسفل.

يمكننا النظر إلى الدم—عبر الأسطورة وما أنتجته من تشكيلات اجتماعية وسياسية—ليس بوصفه مجرد مرّكب عضوي حيوي، بل كحامل لدلالات ثقافية عميقة تسهم في تشكيل التصوّرات

الصمغ البرية. بصورة عامة، يعتمد اقتصاد المنطقة على ما تجود به الطبيعة. ودفع إدخال زراعة القطن في عام 1924 مزارعي تَقُوِي إلى تبني محاصيل نقدية أخرى كالسّمسم والفول السوداني. وفوق ذلك، تُشكّل قرية الفيض مركز القبيلة وسوقاً رئيسية يقصدها الناس من مناطق متعدّدة في جبال النوبة الشرقية وخارجها للتجارة. غير أن النشاط التجاري يظل محدوداً، لقصور الإنتاج المحلي عن تحقيق الاكتفاء الذاتي (Ali, 2025, pp. 204–205).

بوجه عام، تفتقر منطقة تَقُوِي إلى التنمية المتكاملة والخدمات الاجتماعية الأساسية والمتطوّرة. فمستوى توفّر الخدمات التعليمية والصحية ضعيف، مع اختلال واضح في توزيعها المكاني؛ إذ تتوافر مدارس التعليم الأساسي في 9 من أصل 16 قرية، بما يشير إلى تغطية جزئية، في حين يتركز التعليم المتوسّط والثانوي في قرية الفيض، الأمر الذي يحدّ من سهولة الوصول إليه لسكان بقية القرى. وعلى الصعيد الصحي، توجد مراكز صحية ريفية في 8 من القرى التسع المخدومة تعليمياً (مركز واحد لكل قرية)، غير أنها تمثل الحد الأدنى من الرعاية الصحية من حيث الإمكانيات والكوادر (مساعد طبي وممرض وداية)، مما يعكس محدودية نطاق الخدمات وجودتها. تم إنشاء غالبية هذه المؤسسات التعليمية والصحية بعد سبعينيات القرن العشرين، مما يدلّ على حداثة البنية الخدمية في قرى تَقُوِي، التي تعتمد فيها خدمات أخرى مثل المياه والكهرباء.

6 الأبعاد الرمزية للدم عند تَقُوِي:

5.1 الدم كحلقة وصل بين البشر والحيوانات والأرواح:

تحكي أسطورة يتناقضها تَقُوِي عن زوجين أنجبا على التوالي أزواجاً من النمر، والثعابين، والأسود، والنحل، والبشر، وأخيراً جراد أحمر صغير الحجم. كلهم عاشوا في بيت واحد، إلا أن سلوك بعضهم السيئ أو إيذائهم لإخوتهم أدى إلى طردهم تبعاً إلى الخلاء؛ فطردت النمر، تلتها الثعابين، ثم الأسود، فالنحل. بقي في البيت البشر والجراد مع الأبوين. وكان الأب يوصي الأم بالألا تعطي الجراد فرصة لمعرفة مخزن الذرة. لكن زوج الجراد، بمراقبة الأم خلصة، اكتشف المخزن، وأقدم على أكل الذرة، فكانت العقوبة طرده إلى الخلاء، حيث بُني له بيت على أحد الجبال، حيث تكاثر نسله. وبذلك أصبح البشر الوحيدون في القرى وغيرها من مناطق الاستيطان، بينما أصبحت بقية الكائنات تعيش في الخلاء.

أو يطردها، ويعيد ترسيم حدود العوالم ووضع البشر فيها، كما يعيد تعريف الروابط الأسرية والقريبة جسدياً وروحياً.

على نحوٍ مُقارنٍ يُعزّز قابلية تعميم هذه النتائج خارج حدود مجتمعات تَقْوِي المحلية، تكشف دراسات رمزية الدم في ثقافات أوروبا والأفرو-برازيليين والبرّي وبعض مجتمعات أفريقيا ما قبل التاريخ عن دلالات مشابهة لرؤية تَقْوِي. يغدو الدم في كل هذه الثقافات وسيطاً مقدّساً للتواصل مع الآلهة واستدعاء القوى الروحية، وقوة حيوية تطهّر وتعيد التوازن وتمنح الحماية والقدرة وتؤكد صلة الإنسان بالعالم الروحي. ويصبح لون الدم تجسّداً لطاقة خارقة تُستثمر طقوسياً لتحويل ما قد يحمله من خطر وجذب للأرواح إلى مصدر للخصوبة واستعادة النظام. ولتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة ومنع تداخل العوالم، تُقدّم للأرواح حصتها من الأضاحي ودمها درءاً للشر وصوناً للحدود بين عالم البشر المنظم وعالم "الخلاء" المنفلت، إذ يُعدّ اختراق هذه الحدود تهديداً للنظام الكوني وفرصة لتسلّل الكائنات الروحية.

5.2 إخراج الدم الفاسد: الفصد والحجامة والوخز بالأشواك:

تتأسس الحجامة في قرى تَقْوِي عادةً فصد الأطفال لاستخراج ما يُسمّى "دم البطن"، وهو دم يُعتقد أنه باقٍ من الولادة ويسبب عللاً متعدّدة لاحقاً إن لم يُزال في السنوات الأولى من العمر. ويرتبط هذا الدم، وفق معتقد تَقْوِي، بدم الولادة الذي يُخشى أن يجذب الجن والشياطين مسبباً الأذى أو المرض أو حتى الوفاة. وتُجرى عملية استخراج الدم عبر وضع قرن بقر يُعدّ —بحسب الممارسة المحلية— أكثر نظافة وراحة، حيث تُسدّ فتحة الخارجية ببيت عنكبوت ثم يُبث على مواضع الفصّدات التي يحدثها موس جديد لشفط الدم حتى يمتلئ القرن، وبعد ذلك يُدفن الدم المستخرج. يُستخدم بيت العنكبوت في هذه العملية لتميز خيوطه بقدرتها على امتصاص الدم وما يحمله من ملوّثات، وعلى الالتصاق وتشكيل غشاء مؤقت يصد الجروح السطحية الناتجة عن الفصد بفضل لزوجتها، فسهم بذلك في إيقاف سيلان الدم. وتُضاف إلى هذه الخصائص قدرة خيوط العنكبوت على الحد من الالتهاب، إلى جانب صلابتها وليونتها.

في حالات الصداع الحاد أو التشنج العضلي لدى كبار السن، يُمارس تَقْوِي ما يُعرف بالحجامة عند مؤخرة الرقبة لاستخراج ما يُعتقد أنه دم فاسد، عبر فصدات تُجرى بموس ثم شفط الدم بقرن بقر، وفق الطريقة المتبعة لاستخراج دم البطن لدى الأطفال. وقد يُستعاض

الجماعية لدى تَقْوِي لعلاقات الأسرة والقربة والسلطة في مجتمعاتهم المحلية. وتظهر رمزية الدم، بهذا المعنى، طبيعة البنى الاجتماعية والسياسية في هذه المجتمعات وتعمل على تدعيمها. في هذا السياق، يظهر الدم كعامل للتماسك الاجتماعي ولفرز دوائر الانتماء داخل القبيلة.

تكثر القصص التي تُحكى عن حالات الزواج بين البشر والجن في مجتمعات تَقْوِي، ومنها ما حدث لأحد أفراد تَقْوِي يُدعى "جبال"، والذي كان أحد شيوخ الطريقة الإدريسية يرسله لجلب شيء من تراب وحجارة الذهب من بعض مناطق جبال النوبة. وكان الشيخ يعطيه أسراراً روحانية، ويمنعه من مواصلة الطريق إلى موقع الذهب إذا أصيب بشوكة أو حطبة، ونزف نتيجة لذلك دمًا؛ لأنه يصبح عرضة لمس الجن والشياطين التي يجذبها الدم. وفي إحدى المرات، تسببت حطبة على الطريق في جرح جبال، دون أن يشعر بالجرح والدم النازف. وعندما وصل إلى موقع الذهب، شاهد فتاة مزينة بالذهب، فشرع بالرعب، وتشهد بعبارة: "أشهد أن لا إله إلا الله." ورددت الفتاة العبارة من خلفه. وقرأ جبال آية الكرسي من القرآن (البقرة: 255)، ورددت الفتاة هذه الآية أيضًا، ثم قالت له: "استسلم! وتعال معي!" وما كان له خيار غير أن يذهب معها إلى مكان مخفي وراء ستارة، حيث شاهد سيارات فاخرة ومخازن مليئة بالمال والذهب والفضة. وبعد ذلك، قالت الفتاة لجبال: "كل هذه الثروة ستكون لك إذا تزوجتني." ويُعرف المخبرون من تَقْوِي هذه الفتاة بأنها أنثى جن مسلمة.

تُظهر الأسطورة وقصة جبال منظومتين من الثنائيات المتعارضة تُسهمان في ترسيخ رؤية تَقْوِي للعالم؛ تضم إحداها البيت والبشر والطاعة والنظام والمرئي، بينما تشمل الأخرى الخلاء والأرواح والمخالفة والفوضى. وتُجسّد هاتان المنظومتان مجالين متعارضين: حضوراً جسدياً مرئياً داخل البيئة الاجتماعية في مقابل وجودٍ روحي غير مرئي خارجها. وتتأسس البنية الدلالية لهذا التعارض على محور الطاعة/المخالفة، حيث ارتبطت الطاعة بالتكريم، فيما قادت المخالفة إلى العقاب. ويتضح التداخل بين المجالين من ثنائية الطهارة/النجاسة التي تحدّد إمكانية الاختراق الروحي، إذ يصبح الدم وسيطاً يُسهل العبور، فيغدو رمزاً للانكشاف والضعف الذي يستدر الكائنات الروحية وبذلك يُعرّض البشر للخطر. وبالرغم من مادّيته، يتحوّل الدم، عبر الأضاحي، إلى عنصر يستحضر الكائنات الروحية

للتحكّم فيما يُعتقد أنه دم نجس وفساد ومسبب للمرض والموت أو جاذب للمخاطر. كما يتبدّى هذا التصوّر في الممارسات اليومية المرتبطة بالطهارة والغذاء. تمثّل هذه الممارسات—في مجملها وبالتصوّر الذي يؤسّس لها—نموذجًا لما صنّفه تيرنر باعتباره طقوسًا تنظيمية ضابطة تُعنى بتنظيم أو إعادة توجيه السلوكيات المنفلتة عما هو معياري أو مطلوب.

يبرز في ثقافتَي اليوروبا والأفرو-برازيليين تصوّر قد يسهم في تعميق فهم الدم ودوره في طقوس الشفاء من الأمراض عند تَقْوَي، ويدعم قابلية تعميم ما يرتبط بذلك من نتائج خارج مجتمعاتهم المحلية. يحضر الدم في هاتين الثقافتين بوصفه مصدرًا للحياة وموصّلًا للطاقة ومنظّمًا لتوازنها. ويعمل كل من الفصد والوسم والثقب على تعزيز دخول الأعشاب والمواد الطقوسية إلى مجرى الدم، انطلاقًا من اعتقاد يربط المرض بخلل في انسياب الطاقة أو بفساد الدم، ويرى أن الشفاء ممكن عبر تنشيط الطاقة وتطهير الدم. وفي هذا السياق، يُتصوّر الإنسان ككائن مزوّد بطاقة روحية منذ ميلاده، يُعاد ضبطها عبر الممارسات الطقوسية وموسم مشحون بالطاقة الروحية وعبر رش الشقوق التي يحدثها هذا الموس بدم أضحية. وبهذا تُفسّر العلل الصحية على أنها اضطراب في الطاقة الروحية يستلزم ضبطها أو رفع فعاليتها.

5.3 دفن الدم النجس خارج البيت: الختان والحيض والخطبة:

يُمارس الختان في مجتمعات تَقْوَي على الفتيات بين سن السابعة والعاشر بواسطة الداية، في مساحة معزولة ومستورة بأحد أركان فناء البيت، دون السماح للرجال بالاقتراب. تُجلّس الفتاة على حجر كبير فوق حفرة بعمق ذراع تُجمّع فيها الداية دماء الجرح، ومياه الغسل، وأجزاء الجهاز التناسلي المستأصلة، قبل دفنها بعد انتهاء العملية. يُعالج الجرح بوضع رماد قطن محروق لوقف النزيف، ثم يُمسح—بعد توقّف النزيف—بخليط من عجّين دقيق الذرة الرفيعة والملح قبل ربط ساقَي الفتاة معًا. قديمًا كانت تُستخدم مواد نباتية بديلة، كاللّب الناعم لثمار بعض الأشجار بدلًا من القطن، وأوراق أشجار أخرى تُغلى في الماء مثل السدر (*Ziziphus spina*) والهيل (*chriti*) والهيل (*Combretum*)، أو مادتها الزيتية، لغسل الجرح بشكل متكرّر لوقايته من الالتهاب والتسمم. وكان يُضاف إلى ذلك دهن الجرح بعسل النحل لتسريع التئامه. وقد انتشر مؤخرًا استعمال صبغة البيود والحقن والأرطبة والمساحيق الطبية الحديثة.

عن القرن بإناء زجاجي مُعرّض للحرارة. كما يُقاد المصاب بالتهاب الجيوب الأنفية إلى أقرب شجرة هجليج، حيث يُوخز في التجاويف العلوية للأنف بإحدى أشواكها حديثة النمو لإحداث نزف دموي. يُعدّ ذلك من الممارسات العلاجية لهذا النوع من العلل. ويُفضّل استخدام شوكة شجرة الهجليج هذه لافتراض خلوّها من التلوث. وتُعدّ شجرة الهجليج من ملوك الطبيعة، إلى جانب النمر والنحل، وتحظى بمكانة رمزية وروحية، إذ يُعتقد أنها طاردة للأرواح، وأن لها خاصية تحويل نجاسة الدم إلى طهارة (تمامًا مثلما يعتقد البرّي في شمال دارفور)، كما ترمز للكرم والحماية.

يُفرّق تَقْوَي بين دماء الحيوانات والدم البشري من حيث الطهارة والنجاسة؛ فدماء بعض الحيوانات تُعدّ طاهرة، بينما يُنظر إلى الدم البشري ودماء حيوانات أخرى بوصفها دماءً نجسة ومكروهة يجب تجنّبها واتخاذ الاحتياطات عند سيلانها، سواء وقع ذلك عرضًا عند الجرح، أو قصدًا أثناء مداواة بفسد الجلد أو خلال الختان أو الولادة. هنا، يربط تَقْوَي تصنيف دماء البشر والحيوانات بتحريم أو إباحة أكل اللحوم وفق الشريعة الإسلامية، حيث تُحرّم لحوم الخنازير والحيوانات اللاحمة ذات الأنياب والطيور الجارحة ذات المخالب، تمامًا مثل لحم البشر. وتُعد دماء البشر وهذه الحيوانات نجسة نتيجة لهذا التحريم. أما الحيوانات المباح أكل لحومها فهي التي يُسمح بذبحها وأكل لحومها في الأضاحي، ويُعتبر دمها طاهرًا. وعند إراقة الدم البشري، يتوجّب دفنه في الأرض تجنّبًا لالتقاطه من قبل الدجاج؛ إذ يُعدّ تناول لحم دجاجة تغدّت على دم بشري بمنزلة أكل لحم البشر. كما يُخشى أن يجذب الذباب إلى الدم المكشوف، فينقله لاحقًا إلى طعام الناس. وكذلك يمكن استنتاج الاختلاف بين الدمين، الطاهر والنجس، استنادًا إلى منهجية تيرنر التحليلية، التي تدعو إلى فحص الرموز في سياق الأداء الطقوسي. ففي طقوس الحماية والخصوبة لدى تَقْوَي، يُمنح دم الحيوان صفة الطهارة الدائمة لارتباطه أيضًا بطاقة الحياة، ويُوظف بوصفه وسيطًا رمزيًا آمنًا، في حين يُعدّ الدم البشري حاملًا لنجاسة تهدد بالتعرّض لخطر روحي، ما يجعل التعامل معه خاصًا لحظوات صارمة.

هكذا، يبدو أن المنظومة العلاجية لدى تَقْوَي تستند إلى تصوّر للدم باعتباره مكونًا يتصل بالنجاسة والمرض والخطر. هذا التصوّر يفضي إلى اعتماد ممارسات علاجية متوارثة محليًا، مثل الحجامة والفصد بالموس والوخز بالشوك ودفن الدم المستخرج، من منطلق كونها طرق

شاع استخدام صبغة اليود والحقن والأربطة والمساحيق الطبية الحديثة.

يُجرى ختان الإناث والذكور في أطراف أفنية البيوت التي يُعدها تَقْوِي "خارج البيت" مقارنةً بفضاء البيت الداخلي (الغرفة/الْفُطْيَة)، وهو الموضوع نفسه الذي تُقضى إليه ممارسات أخرى مثل التخلص من دم الحجامَة والأظافر والشعر لاعتبارها مواد نجسة. ويعكس التمييز بين "داخل البيت" و"خارج البيت" بُعدًا ثقافيًا في بناء المساكن، حيث يحيط بكل بيت فناء بسور. ويرتبط اختيار هذا الموضوع تحديدًا لإجراء الختان بالمكانة السلبية التي يوليها تَقْوِي للدم البشري، إذ يُنظر إليه بوصفه مادة مكروهة يجب تجنبها.

يُلاحظ أن الدم—باعتباره رمزًا للانتقال—هو ما يجمع بين الختان والحيض، إذ يدل دم الختان على العبور من الطفولة إلى المرحلة الشرعية للخطبة، بينما يعبر دم الحيض عن العبور إلى مرحلة النضج الجنسي. وكذلك يصبح الدم ذا بُعد اجتماعي-شرعي، حيث يُعامل لمس دم الختان كحق للزواج، كما تُدار طقوس الحيض في إطار رصد جاهزية الفتاة للحياة الزوجية. في ذات الوقت، يُصنّف الدم على أنه نجس وينبغي إبعاده إلى خارج البيت وضمان الطهارة منه. على هذا النحو، تعمل رمزية الدم على الجمع بين نوعي الطقوس عند تيرنر، التنظيمية الكابحة للانحراف عن السلوك المعياري المرغوب، والتكاملية المعيدة للتوازن في حالات التوتر.

تتبدى رمزية الدم هنا عبر عدة ثنائيات متعارضة. في حين أن الدم يُعد نجاسة ويجب جمعه ودفنه خارج البيت، يُعطيه كل من الختان والحيض صفتي الطهارة والقبول. كما يعبر عن الانتقال من مرحلة الطفولة إلى النضج الجسدي والاجتماعي، فيغدو رمزًا للتحوّل، ويبرز التمايز بين نجاسة الخارج وطهارة الداخل. هذا إضافة إلى التعارض بين الطبيعة الجسدية الزائلة للدم، ورمزيته المتصلة بالخطبة والزواج والنسب. وأخيرًا، التعارض بين الجانبين الفردي والاجتماعي في شأن التعامل مع الدم.

تراجعت ممارسة ختان الإناث بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة بفعل الوعي بمخاطره الصحية. ويُعزى ذلك إلى أنشطة التوعية التي تقودها مؤسسة الصحة الإنجابية بوزارة الصحة في جنوب كردفان، مدعومة بجهود المنظمات الطوعية المناهضة لهذه الممارسة. كما كان للقوانين والإجراءات الحكومية المشددة، التي تشمل فرض عقوبات قد تصل إلى السجن أو الغرامات، أثر في تراجعها. ومع ذلك، لا

يُعتبر ختان الفتاة شرطًا للزواج عند تَقْوِي، إذ يُنظر إلى زواج غير المختونة بوصفه غير شرعي. وتتم معظم حالات الخطوبة بعد إتمام عملية الختان مباشرة، إذ لا تتم الخطوبة قبل الختان. ويُشجّع الخاطب على الاقتراب من مكان الختان لدفن الحفرة التي تحتوي على الدم والأجزاء المستأصلة، ثم تقديم هدية للفتاة. ويُقال عندئذ إنه "لمس دمها"، ما يمنحه وحده حق الزواج بما. كقاعدة عامة، لا يمكن فسخ مثل هذه الخطوبة، إذ إنها تمثل ارتباطًا بالدم وما يحمله من دلالة على قداسته وخطورته، وقدرته على صون العلاقات والعقود الاجتماعية. لذلك فإن أي محاولة لإلغائها من قبل عامة الناس تترتب عليها عواقب وخيمة. وتُفسخ هذه الخطوبة فقط إذا أُخترت الفتاة زوجةً لملك تَقْوِي، الذي له الحق في تجاوز القوانين والأعراف في المملكة، بوصفه كيانًا استثنائيًا أُسبغت عليه صفة القداسة، ويقف خارج النظامين القانوني والأخلاقي للمجتمع؛ فلا تسري عليه أحكامهما ولا تنطبق عليه معاييرهما (Ali, 2019, p. 27). وفي ضوء هذا التصوّر، يُعتقد أن قداسة الملك يمكن أن تُبطل التأثير الضار لدم ختان الفتاة، على نحو مماثل لما يُعتقد بشأن شجرة الهجليج، المصنفة ضمن ملوك الطبيعة، في تحويل نجاسة دم الختان ودم فض البكارة إلى طهارة. وتبقى الخطيئة تحت إشراف أمها أو والده الخاطب، وعند ظهور أولى علامات الحيض تُحضر المرأة المشرفة قطعة قماش صغيرة للتحكّم في تدفق الدم. ومن تلك اللحظة تُعدّ الفتاة امرأة ناضجة مؤهلة للزواج، وتشعر أسرة الخاطب في ترتيبات الزواج. وتُعدّ هذه الممارسة، في اعتقاد تَقْوِي، وسيلة لضمان عذرية الفتيات وصلاحيتهن للزواج.

يُجرى ختان الصبي بواسطة رجل ختّان داخل سقيفة مسوّرة وساترة في أحد أطراف فناء البيت، حيث يجلس على مقعد قصير منسوج بجبال مصفورة (بمّير) أو على حجر كبير. يكون تحت هذا المقعد أو الحجر حفرة بعمق ذراع يجمع فيها الختّان دماء الجرح ومياه الغسل والقلفة المستأصلة، وتُدفن بعد انتهاء العملية مباشرة. تُنفذ العملية باستخدام موس جديد، ويُخاط الجرح بحيط. وكان وقف النزيف يتم حتى وقت قريب بمسح مسحوق من روث الماعز الجاف، يُضاف إليه أحيانًا بارود الرصاص، على موضع الجرح. وبعد توقّف النزيف، تُوضع مادة مطهّرة تُستخرج من أوراق بعض الأشجار لحماية الجرح من الالتهاب والتسمم، ثم يُربط بقطعة قماش. وفي الآونة الأخيرة

تزال نسبة كبيرة من الأسر تمارسها في الخفاء لما تؤديه من أدوار ثقافية واجتماعية وشرعية.

تتشترك مجتمعات اليوروبا والبرقي وبعض مجتمعات أفريقيا ما قبل التاريخ فيما يشبه رؤية تَقْوِي للدم البشري وضرورة دفنه، وهو شبه يُرَسِّخ قابلية نقل النتائج إلى سياقات خارج مجتمعات تَقْوِي. تلك المجتمعات تنظر إلى دم البشر باعتباره مصدرًا ذا دلالات متعدّدة، وفي مقدّمها الخطر؛ إذ تُضاف إليه، في جميع حالاته—كالجروح والفصد والحيض والولادة والإجهاض والختان وفض البكارة—قدرة على جلب أشكال مختلفة من الضرر. تضمُّ هذه الأضرار النجاسة التي تُثير الأرواح الشريرة، والتلوّث الطقوسي الذي يمنع الممارسة الجنسية والعبادات، واختلال توازن النظام الكوني بما يفضي إلى توالي المصائب. ولذلك تقتضي مواجهة هذا الخطر طائفة من الطقوس الوقائية، أهمها دفن الدم وعزل الأفراد المرتبطين بمصدره.

5.4 دم الولادة والأرواح الشريرة:

عادةً ما تعاني المرأة النفساء من ألم البطن والنزيف المتكرر الناتج عن بقايا دم الولادة، وللتخفيف من حدة هذه الأعراض يُعطى لها شاي من الماء المغلي مع أوراق نبات الحرجل (*Solenostemma argel*) أو مع قطعة من لحاء شجرة التبليدي (*Adansonia*)، مع إضافة قليل من السكر، لتشربه من حين لآخر. كما تقوم الداية يوميًا بتحميم المرأة النفساء، ثم تشطيف جرحها بماء مغلي مع أوراق شجر السدر أو الهبيل، قبل دهنه بالزيت.

خلال الأسبوع الأول بعد الولادة، يُنصح بعدم ترك المرأة النفساء ومولودها دون غطاء، ويُحفظان في مكان مغلق أثناء أوقات الفجر والظهيرة والمغرب، كما يُحظر على النفساء الخروج من البيت حتى إتمام الأربعين يومًا، نظرًا للاعتقاد بكثافة تنقل الجن والشياطين في المستوطنات البشرية خلال هذه الأوقات. وتُعتبر النفساء ومولودها نجسين خلال فترة الأربعين يومًا بسبب دم الولادة، ويُعتقد أن الجن والشياطين تنجذب إلى النجاسة. وتشيع في مجتمعات تَقْوِي المخاوف من تأثير الجن والشياطين على المرأة الحامل والنفساء والطفل حديث الولادة، إذ يُعتقد أنها قد تسبب الأمراض أو الوفاة. لذلك ترتدي المرأة الحامل جرًّا مكتوب للحماية ابتداءً من الشهر السابع من الحمل وحتى أربعين يومًا بعد الولادة، كما يُعلّق جرّز مكتوب على يد المولود اليمنى لنفس الغرض ولحمايته أيضًا من التبدل من قبل الجن والشياطين، وهو ما يُطلق عليه مصطلح

"مُبدّل" للإشارة إلى الطفل الذي يُعتقد أنه أُستبدل بجني أو شيطان. وتُوضع نسخة من القرآن بجوار المرأة النفساء ومولودها للحماية، نظرًا لمنعها طقوسيًا من التعبد وقرآنة القرآن خلال هذه الفترة نتيجة النجاسة. وإذا ظهرت أي أعراض مرضية عليهما، يُعرضان على رجل دين مختص بالعلاج الروحي.

يمثل ما سبق وصفًا لمزيج من المعتقدات والممارسات، التي تتضمن العناية بالجانب الجسدي للأم، مثل التعامل مع جروح النفاس والنزيف وألم البطن، فضلًا عن الاهتمام بالجانب الروحي لحمايتها من الأرواح. ويحمل دم الولادة رمزية مزدوجة؛ فهو دلالة على النجاسة والضعف الروحي، ويقىد الحركة والعبادة. وفي الوقت ذاته، يمثل عامل انتقال بين فترة النفاس الهشة وفترة الطهارة والسلامة، ما يمنحه دلالة على الحياة والنشوء إلى جانب الخطر والتهديد، ويجسد ثنائيات رمزية متعارضة مثل النجاسة إزاء الطهارة، والحياة إزاء الموت، والضعف إزاء الحماية. هكذا يصبح دم الولادة مُتمدّدًا في طقوس كاجحة للانحراف، وفي طقوس مُعيدة للتوازن، بحسب تصنيف تيرنر. تكشف المقارنة، التي تدعم إمكانية تعميم هذه الملاحظات على مستوى يتجاوز مجتمعات تَقْوِي، أن دم المرأة، ولا سيما دم الولادة، حمل في بعض مجتمعات أفريقيا ما قبل التاريخ دلالات رمزية أسهمت في تبرير إقصائها عن الصيد خشية جلب الخطر أو تنفير الطرائد. وامتد أثر هذا التصوّر إلى فرض قيود طقوسية على الرجال عند حيض قريباتهم. وفي ثقافة البرقي بغرب السودان يُعدّ دم الولادة من أخطر مصادر النجاسة لقدرته على استدعاء الشياطين.

5.5 تقوية الدم وعلاج عله في الممارسات العلاجية:

تُستعمل بعض الثمار والحشرات في معالجة فقر الدم وارتفاع ضغطه. وتُعدّ ثمار القُصيم (*Grewia tenax*) والقُصيميل (*Cordia abyssinica*) من الأنواع التي يُعتقد بقدرتها على رفع مستوى الهيموجلوبين بسرعة. وتُحضر هذه الثمار عبر نقع كمية منها في الماء، ثم يُستهلك الناتج إما كعصير أو كحساء مُعد من العصير نفسه وممزوجًا بدقيق الذرة الرفيعة، وذلك في جرعات متكررة وفق الحاجة العلاجية. وتُقع القشور الخارجية لثمار الهجليج (*Balanites aegyptiaca* L.) في الماء ويُشرب المستخلص باعتباره وسيلة للحد من ارتفاع ضغط الدم وفقًا لمعتقدات تَقْوِي. ولنفس الغرض، تُستخدم ثمار الكرمدودة (*Nauclea latifolia*) وأوراق نبات أم شطور (*Kigelia africana*) بعد نقعها في الماء مع عشب

جوهرياً في تعزيز الصحة وطول العمر عبر إنتاج "دم جيد"، في حين اعتمد الفصد تقنيةً علاجية رئيسية لاستعادة التوازن الخلطي. وهكذا تكشف هذه التقاليد الثقافية المختلفة عن سعي متواصل إلى توظيف الفضائل المنسوبة إلى الدم—سواء بتغطية الجسد به، أو تناول ما يُغذيّه، أو نقله مباشرة—مع تأكيد راسخ على دور الأغذية المحددة في صون صحته واستعادة التوازن الجسدي (Charbonneau & Tran, 2012, pp. 2, 4, 7).

7 أبرز النتائج ومناقشتها:

يملك تَقْوِي تصوُّراً كونياً ينظّم علاقة البشر بالكائنات الروحية عبر منظومة من الثنائيات الرمزية المتعارضة، مثل البيت مقابل الخلاء، والطاعة والمكافأة مقابل المخالفة والعقاب، والمرئي مقابل الروحي. وتقوم هذه الرؤية على الاعتقاد بأن الكائنات التي طردت كعقوبة على المخالفة تحوّلت إلى قوى روحية ترتبط بعائلاتهم بروابط دموية، ويمكن استدعاؤها عبر طقوس "الكرامة" التي تقوم على تقديم أجزاء من الذبائح وما تحويه من دم. ويُنظر إلى الدم بوصفه وسيطاً يفتح الحدود بين العالمين المادي والروحي، بما يتيح استجلاب تلك الكائنات أو استدراجها، كما يظهر في الأحداث التي تُبرز قابلية البشر للاختراق عند فقدان "الطهارة" تحت تأثير الدم. فالطقوس الموصوفة تُمارس كنظام رمزي يعكس سعي تَقْوِي إلى ضبط الحدود أو العلاقة بين عالم البشر المنظم أخلاقياً وعالم "الخلاء" الطبيعي المنفصل القوى وبذلك منع التداخل الخطير بينهما. ويُعدّ أي حدث يطمس هذه الحدود تهديداً للنظام الكوني وفرصة لتسلل كائنات الخلاء إلى القرية.

تتجلّى مركزية الدم في المنظومة العلاجية لدى تَقْوِي، إذ يُعدّ عنصرًا قد يجلب المرض والخطر بسبب فساده ونجاسته. وفي هذا الإطار يُمارس فصد الأطفال لاستخراج "دم البطن"، وتُستخدم الحجامة لعلاج الصداع والتشنجات، والوخز بشوك شجرة الهجلبج لتخفيف التهابات الجيوب الأنفية. ويُميّز تَقْوِي بين دم الحيوان (الظاهر) والدم البشري (النجس)، مع الحرص على عدم ترك الدم الأخير مكشوفاً تحبباً لانتشار التلوث. وتُفهم ممارسات ختان الإناث والذكور ضمن هذا الإطار بوصفها طقوساً انتقالية تُنفذ في فضاء "خارج البيت" المرتبط رمزياً بنجاسة الدم. ويلعب ختان الفتاة دوراً مهماً في شرعية خطبتها وزواجها، بينما يُعدّ الحيض مؤشراً لنضجها. وتُبرز هذه

بري يُستعمل كتوابل في تحضير الشاي ويُسمى الشيبّي/الشبيح/أم قَلَيْكَة (*Artemisia absinthium*)، ثم يُشرب العصير الناتج. كما يُعدّ كلٌّ من جذور نبات الكُرْتالا (*Maerua pseudopetalosa*) والجراد ساري الليل (*Anacridium melanorhodon*) علاجين شائعين يُعتقد بفعالتهما في خفض ضغط الدم.

يستند احتلال هذه العناصر النباتية والحيوانية مكانة محورية في معتقدات وممارسات تَقْوِي إلى تصوُّر راسخ فحواه أن الدم هو المصدر الأساسي للطاقة الجسدية التي تمنح الشخص القدرة على مزاوله أنشطته الاقتصادية والاجتماعية والروحية. وبناءً على هذا التصوُّر، حُظي كل ما يُعتقد أنه يغذي الدم أو يطهره أو يعالجه بقيمة مميّزة. ومن ثم، تُفهم الحياة الاجتماعية والروحية بوصفها امتداداً للطاقة الجسدية التي يمدّها الدم، بل باعتبارها مؤسسة عليها ومرهونة بفعاليتها. هذا ما تعكسه تصوُّرات اليوروبا بنجوب غرب نيجيريا والتقاليد الأفرو-برازيلية، التي تُجسّد فهمًا موحّداً للدم باعتباره موضع الحياة ووسيط انتقال "الطاقة الحيوية"، التي تُستعمل كمفهوم تفسيري لتأطير حالات الحيوية والتعب والمرض عبر دينامية تدفّق الطاقة أو تعطّلها. فحقن الأعشاب في الجروح لدى اليوروبا يستهدف بلوغ مجرى الدم لضبط تدفّق الطاقة المرتبطة بالصحة. وبصورة موازية، تُعدّ الطاقة الروحية في الممارسات الأفرو-برازيلية قوة تُنعش الجسد وترتبط بسوائله، ولا سيما الدم الذي يُعتبر وسيطاً مادياً لانتقال هذه الطاقة. ويُفسّر المرض بكونه خللاً ناتجاً من استنزاف هذه الطاقة أو تلوثها. أمّا العلاج فيقوم على إعادة توازنها عبر وسم مواضع جسدية محددة تُمرّر من خلالها مواد طقوسية ودم الأضاحي.

في الطب الصيني لا تُعالج اضطرابات الدم بالأدوية فحسب، بل أيضاً عبر نظم غذائية موجهة واستراتيجيات علاجية لفرط الدم—الذي يُخفّف أحياناً بالفصد—ونقصه الذي يجب تصحيحه سريعاً للحفاظ على الوظائف الفسيولوجية وتوازن الجسد، إذ يُعتقد أن الدم يضمن انسجام الأعضاء الداخلي ويحمي من المرض. وتُبرز الثقافة الفيتنامية بُعدين أساسيين للدم هما لونه وسيولته، اللذان ينبغي أن يظلاً ساطعين وسلسين لضمان دورة مثلى للمغذيات، وهما بُعدان يُنظر إليهما بوصفهما قابلين للتعديل من خلال الغذاء. وبصورة موازية، منح الطب الغربي ما قبل الحديث للأطعمة دوراً

داخل البيت وخارجه، والقرية، والخلاء، والحِرز المكتوب، وشجرة الهجليج، ولمس دم ختان البنت.

يتبين كذلك أن الخصائص، التي وضعها تيرنر للرموز، تتحقق في رمزية الدم لدى تَقْوِي؛ إذ تقوم على تكثيف المعاني وتوحيد المتباين منها واستقطابها. يظهر التثقيب عبر حصر دلالات متنوّعة ومتعارضة ضمن رمز واحد هو الدم، حيث يبرز تقاطع البعد الكوني مع الأبعاد الطقوسية والاجتماعية والعلاجية. فالدم يُؤدّي وظيفة الرابط بين العوالم المادية والروحية، ويمثّل مكاناً لتجليّ المتعارضات الثنائية الرمزية مثل النجاسة والطهارة، كما يضطلع بوظائف علاجية وطقوسية وقرابية معاً، بدءاً من الفصد والحجامة وصولاً إلى طقوس العبور (مثل الولادة والختان). ويعمل الدم كذلك كعنصر محوري لفهم الارتباط بين الجسد والعالم الروحي، وما يتصل بالجسد من الضعف وضرورة الحماية. وبالتالي، يتركز في هذا الرمز نسقٌ متكامل من الدلالات والوظائف التي تشكّل رؤية تَقْوِي للعالم وطرق العبور عبر مراحل الحياة.

يتضح توحيد المعاني من خلال جمع دلالات متباينة موحّدة بخيط واقعي وفكري، يتمثّل في اعتبار الدم حلقة وصل بين الأجساد، والأرواح، والكيانات، والممارسات الاجتماعية والثقافية. فالدم، مهما تنوّعت السياقات التي يظهر فيها، يندمج في نسق دلالي موحّد يُظهر ارتباطه بالوجود البشري وعلاقات القرابة والطاقة الجسدية والبعد الروحي. ويحتوي هذا النسق على عناصر تبدو متفرّقة، مثل المعتقدات المتعلّقة بالتداخل بين الروحي والجسدي، والممارسات الطبية التقليدية، ومراحل العبور وطقوسه، عبر اعتبار الدم وسيطاً مادياً ورمزياً يربطها جميعاً. وبذلك تتكامل الدلالات المتعدّدة في إطار تفسيري موحّد يمنح منظومة تَقْوِي الثقافية تناغمًا معرفياً، ويصبح الدم الأساس الذي تستند إليه ظواهر متنوّعة ضمن وحدة فكرية متكاملة.

يتجلى استقطاب المعاني في إمكان رمز الدم على الجمع بين قطب أيديولوجي يعكس البنية الاجتماعية والثقافية لمجتمعات تَقْوِي، وقطب حسيّ مرتبط بخصائص الدم المادية والحيوية. أيديولوجياً، يُضفي على الدم طيف من الدلالات، والارتباط بكائنات روحية، ويُوظّف مثلاً في تفسير رمزية الحدود المكانية والزمانية، وممارسات الختان والحيض والولادة. وحسيّاً، يتأسس المعنى على صورة الدم كسائل أحمر يُراق، مُعرّض للتلوث، وحامل للحياة والطاقة، ومقرن

الممارسات موقع الدم كعلامة عبور بيولوجي-اجتماعي في مراحل الحياة المختلفة.

يظهر الترابط بين الجسد والأرواح بوضوح في فترة النفاس، حيث تُفرض قيود زمنية ومكانية لحماية المرأة ومولودها من قوى روحية يُعتقد أنها تنشط في أوقات معيَّنة، كما تُستعمل الأحراز المكتوبة والقرآن للوقاية من المس الروحي أو من احتمال استبدال المولود بشيطان أو جني. وتُفسّر النجاسة الناتجة عن دم الولادة بوصفها حالة ضعف تستجلب الضرر، فتُقيّد حركة المرأة ومولودها ويُعزى مرضهما إلى فواعل روحية. وهنا تتجلى رمزية دم الولادة كمرحلة انتقالية تجمع بين متعارضات ثنائية رمزية كالحياة والموت.

يعتمد تَقْوِي على مواد نباتية وحيوانية لعلاج فقر الدم وارتفاع ضغطه، في إطار تصوّر يُعطي من شأن الدم بوصفه مصدرًا للطاقة الجسدية ودعامة للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والروحية. وقد يُضفي هذا التصوّر قيمة خاصة لكل ما يُعتقد أنه يغذي الدم أو ينقيّه.

هكذا يتبدى في مجتمعات تَقْوِي إطارٌ معرفي واجتماعي مميّز، يُعطي فيه الدم موقعاً محورياً، باعتباره عنصراً يوطّر فهم البشر لعلاقتهم بالعالمين المادي والروحي، ويضبط هذه العلاقة في سياق رؤية ثقافية محدّدة. كما يُشير هذا الإطار المعرفي والاجتماعي إلى طريقة عمل الدم في المستويين الرمزي والواقعي، وكيفية تحديده لمفاهيم مثل الطهارة والنجاسة، ودوره في تأطير مسارات تطوّر المرض والشفاء، وكيف يشكّل فهم حالات الضعف والحماية، وحضوره في إدارة مراحل الحياة الحرجة مثل الحيض والولادة والختان. وفي استنتاج عام يتفق مع منظور تيرنر، يبدو أن الدم في مجتمعات تَقْوِي يعمل باعتباره رمزاً طقوسياً محورياً ودينامياً فاعلاً في العملية الاجتماعية، إذ إنه يضبط شبكات العلاقات الاجتماعية ومراحل التحوّل الاجتماعي. إنه رمز متعدّد الأبعاد ووظيفي ومولّد للمعاني، ويمثّل لبّ النظام الرمزي للممارسات الطقوسية.

وفق التصنيف الذي طرحه تيرنر، يتبلوّر الدم—على اختلاف تجلّياته من جرح وفصد وختان وحيض وولادة وفص بكارة—باعتباره الرمز المهيم وغيابةً مستقلة بذاتها في معتقدات تَقْوِي وممارساتهم الطقوسية. وإلى جواره تشكّل منظومة من رموز أداتية ذات وظائف محدودة في مجال إنتاج الدلالات الطقوسية، مثل:

النتائج المتعلقة بحالة تَقْوِي، وفق مقارنة تحليلية مُقارنة تتيح توسيع نطاق تعميم النتائج المستخلصة بما يتجاوز الخصوصية السياقية لمجتمعاتهم المحلية.

8 الخاتمة:

تبحث هذه المقالة، كما يُبَيّن سابقاً، عما إذا كانت رمزية الدم لدى تَقْوِي نتاج نسق كوني أم تحوُّلات اجتماعية وثقافية، وكيف تتجلى في الطقوس، وما وظائفها وارتباطاتها بظروف الحياة، وكيف تُجسِّد مفاهيم ربما تكون متكاملة أو متعارضة. تُفيد النتائج بأن حمولة الدم الرمزية في ثقافة تَقْوِي ثمرة التقاء رؤية كونية تضبط صلتهم بالعالم الروحي مع تحوُّلات سياسية واجتماعية وثقافية أُسِّتت لأسلوب الحياة في مجتمعاتهم. فكوتياً، يُفهم الدم كوسيط يسهل التداخل بين المادي والروحي، وتُستدعى عبره كائنات روحية ترتبط بالجماعات القرابية. اجتماعياً-ثقافياً، تتبلور رمزية الدم عبر منظومة القرابة، والأدوار الجنسانية، والظروف البيئية والاقتصادية، وضعف البنية الخدمية.

تتكشَّف هذه الرمزية في طقوس تَقْوِي، حيث يضطلع الدم بدور أساسي مُفَعَّل للطقوس. ففي سياق "الكرامة"، يُستخدم الدم كأداة لاستحضار القوى الروحية واسترضائها. علاجياً، يُستثمر الفصد والحجامة والوخز في استخراج الدم أو إعادة توجيهه لضبط التوازن الجسدي-الروحي. وضمن طقوس العبور، كالتختان والولادة، يعمل الدم كعلامة ضابطة للانتقال بين الأطوار الاجتماعية ومكْرِسة لأهلية الاندماج في شبكات القرابة والزواج. وتبيّن طقوس الحماية خصوصاً في النفاس، تصوّر الدم كعامل نجاسة وضعف يقتضي اتخاذ تدابير وقائية تتضمن ضبط الحركة والمكان، والاستعانة بالأحراز والقرآن.

يُتضح من هذه الممارسات أن الدم يؤدّي وظائف متعدّدة: مؤشِّر للصحة والمرض، ووسيلة لضبط الطاقة الجسدية، ورمز قرابي للانتماء والمكانة، ووسيط روحي يربط البشر بالكائنات غير المرئية. وتفرض ظروف الحياة المشقة دور الدم المركزي في تفسير التلوُّث والحماية والوفرة والنقص، وإدراك المخاطر الصحية والاجتماعية. وتعكس رمزية الدم لدى تَقْوِي أيضاً منظومة من الثنائيات المتعارضة، حيث تلتقي—على سبيل المثال—الطهارة بالنجاسة، والأمان بالخطر، والحياة بالموت، والداخل بالخارج.

بالألم أو الخطر؛ وهي خصائص طبيعية تقوم عليها الممارسات العلاجية مثل الفصد والحجامة والوخز بالأشواك.

وفقاً لمنظور تيرنر، الذي يجعل السياق المجتمعي الأعم مرتكزاً لفهم الرموز ودلالاتها، يتبيّن أن مجتمعات تَقْوِي القروية المنتجة لرمزية الدم المعنية بالتحليل تمتلك سمات بنوية خاصة. تعتمد هذه المجتمعات على اقتصاد معيشي بدائي يقوم على الزراعة المطرية والرعي التقليدي والصيد وجمع الأغذية البرية، ما يجعل الحياة فيها رهينة لتقلبات الطبيعة. ويبقى النشاط التجاري محدوداً، لعدم قدرة الإنتاج المحلي على تحقيق الاكتفاء الذاتي. تشكّلت رمزية الدم في هذه المجتمعات تحت تأثير هذه الظروف المتداخلة، حيث أضحت الدم دالاً على النسب والمكانة الموروثة ومحدّداً للفواصل بين الجماعات الاجتماعية، في حين دفع الاقتصاد القائم على هبات الطبيعة إلى ممارسة طقوس الأضاحي بوصفها وسيلة لضمان الأمطار ووفرة المحاصيل. كما أسهمت الظروف البيئية، مدعومة بالتخلّف التنموي وتدني مستوى الخدمات الاجتماعية أو عدم توفرها، في تفشي الأمراض وارتفاع معدلات الوفيات، ما جعل الدم، في المعتقدات والممارسات الطقوسية، مرتبطاً بالتلوُّث والمرض والخطر.

رغم التباعد الجغرافي والزمني بين تَقْوِي بجنال النوبة، والزيّتي في شمال دارفور، واليوروبا في جنوب غرب نيجيريا، ومواقع التقاليد الأفرو-برازيلية، وبعض مجتمعات أفريقيا ما قبل التاريخ، تتقاطع ثقافتهم في مركزية الدم كرمز للتواصل بين العوالم الطبيعية والروحية. تقوم رمزية الدم في جميع هذه الثقافات الأفريقية والأفرو-برازيلية على بُنى رمزية متماثلة تُؤسِّس لمفهوم "الطاقة الحيوية المقدّسة"، وأن الدم يؤدّي دور وسيط بين المجالين الطبيعي والاجتماعي، بما يجعل طقوس سفكه أو التحكم فيه تقنيات رمزية لإعادة التوازن في عالم البشر. وفي اتجاه مُكَمِّل، وكما ورد في بداية هذه المقالة أيضاً، تشير نصوص الأديان السماوية والسِّير المناقبية عن الوليّات المسلمات، إلى جانب الأفكار الفلسفية والطبية القديمة، إلى أن الدم يُعدُّ من مكوّنات الجسد المدبّسة التي ينبغي التطهّر منها كي يتمكنّ الجسد من دخول عالم التقوى والارتقاء فيه، وليضطلع بدوره وسيطاً بين الروح البشرية والإله. وتؤكد هذه المصادر أن الخصائص البيولوجية للجسد الأنثوي، التي يحتل فيها الدم موقعاً محورياً، تجعله أكثر تعرّضاً للنجاسة وأكثر قابلية لإحداث التدنيس والأذى. هكذا، تُشكّل هذه المعتقدات والممارسات في مجموعها منظوراً مفيداً في تفسير

- Rios, L. F., Oliveira, C., Garcia, J., Muñoz-Laboy, M., Murray, L., and Parker, R. (2011). Blood, sweat and semen: The economy of axé and the response of Afro-Brazilian religions to HIV and AIDS in Recife. *Global Public Health, 6(Suppl. 2)*, S257-S270, doi:10.1080/17441692.2011.604040.
- Rova, P. J. (2019). Blood Signals: On the Symbolism and Ritual Pertinence of Blood. *DIN - Tidsskrift for religion og kultur*, 1, 93-102.
- Turner, V. (1967). *The forest of symbols: Aspects of Ndembu ritual*. Ithaca .NY: Cornell University Press.
- Watts, I. (2024) Blood symbolism at the root of symbolic culture? African hunter-gatherer perspectives. *Journal of Anthropological Archaeology*, 76, 38-21. doi:10.1016/j.jaa.2024.101627.
- White, L. (2021). *Blood*. In *Encyclopedia of African Religions and Philosophy*. (pp. 95-97). Dordrecht: Springer, doi:doi:10.1007/978-94-024-2068-5_62
- Wreschner, E. E. (1980). Red Ochre and Human Evolution: A Case for Discussion. *Current Anthropology*, 21, 644-631.

قائمة المصادر والمراجع

- رجال بوبريك. (2011). الجسد الأنتوي والمقدس. إضافات، 13، 130-108.
- عثمان محمد عثمان علي. (2013). قراءة وتحقق في كتاب لاديسلاف هولبي: الدين والعرف في مجتمع مسلم: مجتمع البرقي السوداني. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتعريب.
- عثمان محمد عثمان علي. (2021). قبيلة تَعْقُوي بجبال النوبة الشمالية الشرقية — السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتعريب.
- Ali, O. M. O. (2025). Indigenous Knowledge of Wild Foods and Medicines among the Tagoi Communities in the Nuba Mountains – Sudan. *Journal of Letters and Social Sciences*, 22(1), 215-202.
- Ali, O. M. O. (2019). The Divine Kingship of the Tagoi of the Nuba Mountains—Sudan. *Journal of Arts and Social Sciences*, 10 (3), 33-17.
- Ali, O. M. O. (2016). Conflict with Others at a Bleeding Frontier: The Case of Tagoi in the North-eastern Nuba Mountains – Sudan. *Égypte/Monde Arabe*, 14, 136-113.
- Bernard, O. T. (2020). A literary interpretation of blood symbolism in Ifá divination poetry. *Yoruba Studies Review*, 5(1.2), 38-21. doi:10.32473/ysr.v5i1.2.130082.
- Charbonneau, J., and Tran, N. (2012). The Symbolic Representations of Blood (Preliminary paper). Presented at *EASA Biennial Conference: Uncertainty and Disquiet*, 10-13 July 2012, Nanterre, France.
- Elles, J. R. (1935). The kingdom of Tegali. *Sudan Notes and Records*, 18(1), 1-35.